٤ ــ سيارة

الله ــ عز وجل ــ(١) لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ؛ لأنه إنما يضرب الأمثال للحكمة والموعظة الحسنة ، وليبيِّن للناس قصد السبيل ، ويصرفهم عن جائرها . فمن حقنا ، بل من الحق علينا أن نتأدب بأدب القرآن الكريم ، وألا نتحرج من أن نتحدث إلى الناس فى شىء ما : سيارة فما فوقها لنبين لهم مواضع العوج فى سياسة الوزارة القائمة حين تعرض للكبائر وحين تعرض للصغائر من الأمور .

والناس يعلمون ما فى سياسة الوزارة من العوج حين تعرض للرى فتقيم الخزان هنا ، وتمهد لإقامة الخزان هناك ، وتُعرض فى هذا كله عن نصيحة الناصحين ، ومشورة المشيرين ، وهم يعلمون كذلك ما فى سياسة الوزارة من العوج حين تعرض لأمر الدَّين فتعلن أنها لن تدفع إلا ورقا ، وتمضى مع ذلك فى خصومة قضائية ولا تجد الشجاعة على أن تتخذ فى هذا الأمر قرارا حاسما يقطع الشك ويزيل اللبس .

وهم يعلمون ما فى سياسة الوزارة القائمة من العوج حين تضيق استقلال الجامعة حتى ترده إلى أبسط أشكاله ، وتجعله قابلا لأن يوضع فى علبة صغيرة يضعها وزير التقاليد فى جيبه ، وحين تبسط سلطان الأزهر حتى تغمر به مدارس الدولة كلها .

وهم يعلمون ما فى سياسة الوزارة من العوج حين تعرض لغير الرى والدَّين والتعليم من المرافق المصرية الكبرى ، فليس هناك بأس إذن من أن يقفوا عند هذه السيارة لحظة وإن كانت ما تزال فى باريس تهيأ وتعد ، وتنتظر مقدم رئيس الوزراء ..!

فأنا أريد أن أتحدث عن هذه السيارة التى كثر فيها الحديث بين الصحف والتى اشترتها الدولة لرئيس الوزراء ليتنقل بها فى أوربا أثناء إجازته المقبلة .

---

(١) ٤ ــ ٥ ــ ١٩٣٣ .

زعموا أن رئيس الوزراء حين كان يجمع إلى الرياسة وزارتين ؛ كان يستمتع بالتنقل فى سيارات ثلاث : إحداها للرياسة ، والأخرى للمالية ، والثالثة للداخلية . فلما اشتدت الأزمة واستحكمت ؛ أحسَّ رئيس الوزراء حاجة الدولة إلى الاقتصاد ، فأمر بإحدى هذه السيارات الثلاث فبيعت ، ورد ثمنها إلى خزانة الدولة . واقتصدت الدولة ما كانت تحتاج إليه هذه السيارة من النفقات فى كل يوم . ولا تسل لماذا لم يبع رئيس الوزراء سيارتين من هذه السيارات ، ولِمَ لَمْ يكتف بواحدة دون اثنتين فيضيف اقتصادا إلى اقتصاد ، وتدبيرا إلى تدبير ؟ ولا تسل لماذا لم يبع رئيس الوزراء هذه السيارات الثلاث ، ولِمَ لَمْ يكتف بسيارته الخاصة ، ينفق عليها من أموال الدولة إذا لم يكن بد من أن تتكلف الدولة نفقات انتقاله ؟ وقد يقال إنك تجهل أخلاق الوزراء ، وما جرت به عادتهم فى مصر حين تلقى مثل هذا السؤال أو تفكر فيه !.

باع رئيس الوزراء إذن إحدى سياراته الثلاث ، واكتفى باثنتين ثم مرض واضطر إلى أن يرقع وزارته وينزل عن الداخلية لوزيرها الجديد ، وأقبل وزير الداخلية الجديد ؛ فوجد سيارة الوزير قد بيعت ، ولم تكن فى وزارة الداخلية كلها سيارة يتنقل فيها الوزير أثناء إقامته فى الداخلية ، أو وجد سيارة أو سيارات ولكنها لم تكن تليق بمقام الوزير ، ولا سيما وقد كان وكيلا فأصبح وزيرا ، ويجب أن يحيط بهذا الانتقال من مظاهر الإكبار والإجلال ما يلائمه ، ومن هذه المظاهر أن تكون سيارة الوزير أفخم وأجمل من السيارات الأخرى فى الوزارة . فنزل رئيس الوزراء عن سيارة الرياسة لمرءوسه القديم وزميله الجديد ، وأصبح رئيس الوزراء منذ ذلك الوقت وليس له إلا سيارة واحدة ، هى سيارة المالية ، ولكنه رئيس ووزير ، له صفتان فيجب أن تكون له سيارتان ، ولا ينبغى أن يكون كغيره من الوزراء ذا سيارة واحدة ؛ لهذا لم يقنع بسيارة المالية ، وأزمع أن يشترى سيارة أخرى للرياسة ، وتستطيع أن تلاحظ فى غير فائدة ولا غناء أن رئيس الوزراء مريض ، وأن حركته قليلة وانتقالاته محدودة ، فسيارة واحدة كانت تكفيه ، ولكنه كما قلت لك ذو صفتين ، فيجب أن يكون ذا سيارتين ! ولا تقل إن وزير التقاليد ذو صفتين ، فهو وزير المعارف ، ورئيس الجامعة ، فيجب أن يستقل سيارتين :

سيارة المعارف وسيارة الجامعة فالفرق بين وزير التقاليد ورئيس الوزراء واضح جدا ؛ لأن وزير التقاليد لا يتلقى رياسة الجامعة بمرسوم ، وإنما هى صفة تنشأ له نشوءا ، وتنتأ له نتوءا ، فهى أشبه بالعلَّة العارضة منها بأى شيء آخر ، وهى ملازمة له ، لا يستطيع أن يتخلص منها إلا أن يستقيل من الوزارة ! أما وزارة المالية فيستطيع رئيس الوزراء أن ينزل عنها كما نزل عن الداخلية . والظاهر أنه كان يقصد النزول عن وزارة المالية يوما من الأيام ، لذلك احتفظ بسيارتها لوزيرها المنتظر ، واشترى للرياسة سيارتها هذه .

ومن المرجح كما يقول الناس أن فى القاهرة سيارات يمكن أن تشترى منها الفخم الذى يليق برؤساء الوزارات ، ومنها المتوسط الذى يليق بالوزراء ، ومنها البسيط الذى يليق بأوساط الناس . ومن المرجح أيضا أن شراء هذه السيارات من القاهرة أدنى إلى المألوف ، وأقرب إلى الاقتصاد ، ولكن رئيس الوزراء سيسافر إلى أوربا فى إجازة طويلة ليستشفى ويستريح ، وهو كما قلنا أمس لا ينبغى أن يتخذ فى أوربا ما يتخذه عامة الناس من وسائل الانتقال ، فيجب أن تكون له سيارته . وما دام رئيسا للوزراء وما دام وزيرا للمالية فيجب أن تكون له سيارتان تنتقلان معه حيثما وجه ، وأينما ذهب . يستقل إحداهما وهو رئيس الوزراء ، ويستقل الأخرى وهو وزير المالية ! يستقل كلا منهما فى وقت من الأوقات حين يفكر فى إحدى هاتين الصفتين منفردة ! فإذا فكر فيهما مجتمعين استقل السيارتين فى وقت واحد ، ولكن رئيس وزرائنا أرفق بخزانة الدولة وأحرص على أموال الدولة من أن يكلفها هذه النفقات كلها ، فليكتف إذن بإحدى السيارتين فى أوربا ، وليستقلها مرة رئيسا للوزراء ، وأخرى وزيرا للمالية ، وليجمع السيفين فى غمد حين لا يكون من ذلك بد ..!!

ويغلو رئيس وزرائنا فى الرفق بخزانة الدولة والحرص على أموالها ، فيتحرج من نقل السيارة الواحدة إلى أوربا فى الذهاب والإياب على حساب الدولة ، ويقرر أن يلغى إحدى هاتين النقلتين . وإذن فليشتر السيارة فى باريس وليحتفظ بها فى باريس حتى يبلغها ، ولتعرف له الدولة هذه المآثر الغر ، وهذه الأيادى البيض . ثم يقال بعد ذلك إن رئيس وزرائنا مسرف فى أموال الدولة ، وكيف يكون مسرفا فى

أموال الدولة من اقتصد لها الملايين ؟ وكيف يكون مسرفا فى أموال الدولة من يبيح له منصبه أن ينتقل بسيارتين ، فلا ينتقل إلا بسيارة واحدة ؟ وكيف يكون مسرفا فى أموال الدولة من يبيح له منصبه أن ينقل سيارته ذاهبا آئبا فيكتفى بنقلها فى الإياب دون الذهاب !

ألست ترى أن صحيفة رئيس الوزراء على حق حين تنكر على هؤلاء الناس الذين يلومون رئيس الوزراء فى إنكار هذا اللوم ! ورئيس الوزراء معذور إن ضاق بهذا اللوم وتبرم به ، فهو لا يدل إلا على شيء واحد ، وهو أن المصريين قوم يجحدون الجميل ، ولا يعرفون الفضل لأهله ، ولا يشكرون الصنيعة لمن يسديها إليهم !! ولو قد كان المصريون قوما يقدِّرون الرجال والأعمال ، ويشكرون لذى الإحسان إحسانه ، لرفعوا إلى رئيس الوزراء عرائض لا تصور الثقة ، فقد شبع رئيس الوزراء من الثقة حتى كاد الشبع يؤذيه ولا سيما بعد ثقة مجلس النواب أول أمس ، ولكنها تصور الحمد والثناء ، وتصور الشكر والاعتراف بالجميل ، لأنه نزل عن كل هذه الحقوق برًّا بخزانة الدولة ، وحرصا على أموالها ، وآثر أن تنفق هذه الأموال التى تفضل بالنزول عنها فى إعانة الفقراء والبائسين ، أو فى دفع المصروفات المدرسية عن بعض الطلاب الذين يخرجهم من المدارس وزير التقاليد . ولو أن المصريين يقدرون الرجال والأعمال ، ويعرفون الجميل لأهله لما أفلتت هذه المكرمة من مجلس النواب ، ولما فاتت هذه المأثرة مجلس الشيوخ ! ومع ذلك فالوقت لم يضع بعد ، والدورة البرلمانية لم تبلغ أجلها ، ومن الممكن أن يمحو المصريون عن أنفسهم إثم هذا التقصير ، وأن يستدرك البرلمان ما فات فيشكر الشعب كله ، ويشكر البرلمان كله لرئيس الوزراء هذا الفضل العظيم !!

ولكن رئيس الوزراء قد سافر إلى أوربا فى الصيف الماضى ، وقد وصفت رحلته هذه بالإجمال والتفصيل ، ولم يحدثنا أحد عن السيارة أو السيارات التى كان يتنقل عليها .

رئيس الوزراء كان فى الصيف الماضى ذا صفات ثلاث ، فهل سافر ومعه سيارات ثلاث ؟ أم هل كان قد باع سيارة الداخلية فسافر بسيارتين اثنتين ؟ أم هل

كان قد أحسّ شدة الأزمة واستحكامها فسافر بسيارة واحدة ؟ أم هل سافر بدون سيارة ؟ فلما أقام فى أوربا وتنقل فيها رأى أن هذا يكلف الدولة أكثر مما ينبغى فآثر أن يشترى سيارة تنتظره هناك ؟!

هذه مسائل نؤكد مخلصين أنّا نجهل الجواب عليها ، ونود لو تفضّلت صحيفة الوزارة علينا بهذا الجواب ، فقد يكون فيه مأثرة أخرى من مآثر رئيس الوزراء ، يجب أن يعرفها الناس !!

ومسألة أخرى لا بد من التفكير فيها ، لأنها تملأ القلب إعجابا ، والنفس إكبارا لرئيس الوزراء ، أو لأعوانه الذين يعملون معه ، فقد كان رئيس وزرائنا مريضا حين انتقلت سيارة الرياسة إلى وزير الداخلية . أفترى أنه هو الذى فكّر فى إعطاء هذه السيارة للوزير الجديد ، وفى شراء سيارة أخرى مكانها ، وفى أن تنتظره هذه السيارة الجديدة فى باريس لما قدمنا من الأسباب ؟ وإذن فإن إعجابنا برئيس الوزراء لا حد له !!

وكيف لا يملكنا الإعجاب به والإكبار له ، وقد كان مرضه شديدا مخيفا ، وكانت أعمال الدولة من حوله كثيرة دقيقة معقدة ، فلم يمنعه مرضه الشديد المخيف ، ولا أعماله الدقيقة المعقدة من أن يفكر فى النزول عن سيارة وشراء سيارة أخرى تنتظره فى باريس ؟ أم ترى الذين فكروا فى ذلك وأنفذوه إنما هم أعوان الرئيس وأولياؤه من الموظفين . وإذن فإن إعجابنا بهؤلاء الأعوان والأولياء لا حد له ! انظر إليهم كيف يعنون برئيسهم ويفنون فى العناية به حتى إنهم ليفكرون فى أن يضعوا مكان سيارته القديمة سيارة جديدة وأن يختاروها فخمة جميلة من طراز بديع ، وأن يمسكوها فى باريس حتى يبلغها رئيس الوزراء ؟

أرأيت أنا لم نخطىء حين تحدثنا إليك فى هذه القصة الصغيرة . قصة السيارة التى اشتريت لرئيس الوزراء على حين يتحدث الكتّاب الآخرون إلى قرائهم فى الخزانات والاستجوابات ، وعودة المندوب السامى أو بقائه فى لندرة ، وما يسمونه الموقف السياسى . أرأيت أن تحدثنا إليك عن هذه السيارة قد انتهى بك وبنا إلى خصال يجب أن يتدبرها ويفكر فيها كل من ينصب نفسه للعمل فى الحياة العامة ؟ أولى هذه الخصال الاقتصاد الذى لا ينبغى لرؤساء الوزارات أن

يقصروا فيه مهما يكن يسيرا ضئيلا ، وقدوتهم فى ذلك رئيس وزرائنا حين آثر فى أمر هذه السيارة ما آثر من الاقتصاد !

وثانية هذه الخصال اليقظة للمصلحة العامة وللمصلحة الخاصة مهما تكن دقيقة غامضة ، فلا ينبغى أن يشغلنا عن هذه المصلحة مرض مهما يكن مخيفا ، أو عمل مهما يكن دقيقا .

وثالثة هذه الخصال الفناء فى الإخلاص للرؤساء ، فلا ينبغى إذا مرض رئيسك أن تهمل سيارته ، ولا ينبغى إن سافر رئيسك أن تنسى أنه قد يعود ! وهنا مشكلة أدع لك ولغيرك من القرَّاء أن تلتمسوا لها حلًّا ما دام الإخلاص للرؤساء واجبا ، وما دام من الحق على المرءوسين أن يقدروا حركات رؤسائهم إذا سكنوا ، وسكون رؤسائهم إذا تحركوا ، فقد يكون من الحق على أعوان الوزارة أن يقدروا أنهم وإن تولوا الوزارة ، وأطالوا المقام فى مناصبها فقد يستقيلون .

صدقنى أيها القارىء العزيز إن من الحق عليك ألا تتحرج من التفكير الطويل فى أيسر الأشياء وأهونها حتى حين تكون هذه الأشياء مما يشبه سيارة رئيس الوزراء !